روميل بعد العلمين

حتى الأيام الأخيرة من شهر يناير سنة ١٩٤٣ كان روميل يواصل الانسحاب فى اتجاه الغرب من الصحراء الليبية قتالا بالنهار وانسحابا أثناء الليل حتى وصل إلى طرابلس . ويتضح مدى التفوق فى ميزان القوى لصالح الجيش الثامن البريطانى وضد جيش روميل من الجدول الآتى فى منتصف شهر يناير ١٩٤٣ .

المعدات	مونتجومرى	روميل
دبابات	٦٥٠	٣٦ دبابة ألمانية + ٥٧ إيطالية
مدافع ميدان	٣٦٠	٧٢ مدفع ألمانى + ٩٨ إيطالى
مدافع م/د	٥٥٠	١١١ ألمانى + ٦٦ إيطالى
سيارات مدرعة	٢٠٠	١٧ ألمانية + ١٦ إيطالية

ويضاف إلى ذلك وجود قيادة عليا بريطانية واعية سياسيا وعسكريا ووجود قيادة عليا ألمانية وإيطالية ساذجة سياسيا وغير واعية عسكريا .

ويضاف إلى ذلك أيضا وضوح الهدف من القتال فى شمال إفريقيا وبروز أهميته من حيث السيطرة على البحر المتوسط ومعناها مباشرة هو السيطرة على كل دول جنوب أوربا المطلة على البحر المتوسط بما فى ذلك إيطاليا نفسها واليونان وفرنسا ، ومن هنا كان إصرار تشرشل على ضرورة تدعيم جيش مونتجومرى بكل ما يلزمه لتدمير جيش روميل فى شمال إفريقيا .

ويضاف إلى ذلك أن الإمدادات العسكرية لجيش مونتجومرى كانت تصل إليه دون أى عقبات من معين لا ينضب وكانت فى ازدياد مستمر قبل وأثناء وبعد معركة العلمين ، بينما كانت إمدادات روميل فى تناقص مستمر يزداد يوما بعد يوم ، فماذا عساها أن تكون نتيجة معركة العلمين أو أى معارك

تعطيلية لتقدم الجيش الثامن البريطانى الذى يواصل تقدمه غربا فى شمال إفريقيا ، بينما يواصل جيش روميل الانسحاب فى اتجاه الغرب باستمرار .

كان روميل من واقع خبرته العسكرية يدرك أن أى موقع فى أرض صحراوية يتم اختراقه أو تطويقه يصبح عديم القيمة مالم توجد قوات ميكانيكية قوية يمكنها منع الاختراق . وأعظم الخطط العسكرية على الورق يستحيل تنفيذها مالم توجد قوات كافية لتنفيذها تكتيكيا فوق الأراضى الصحراوية . ولكن يبدو أن القيادة العليا الألمانية والإيطالية لم يكن لديها تصورات سوى تصورات النصر أو الموت وتصورات ضرورة التمسك بالمواقع فى الأراضى الصحراوية العديمة القيمة فى ذاتها مهما تكن النتائج . ومن هنا نشأ نوع من عدم الاتساق وعدم التوافق بين القرارات العسكرية السليمة لدى روميل بضرورة التخلى عن بعض المواقع وتجميع القوات حتى تتمكن فى موقع آخر بعد وصول الإمدادات والتعزيزات من الثبات وصد هجوم العدو وإيقافه ثم رده إلى الوراء .

هذه هى وجهة نظر روميل ، وهى وجهة نظر سليمة دون ريب فى ذلك ، ولكن وجهة نظر القيادة العليا الألمانية والقيادة العليا الإيطالية كانت على النقيض من ذلك . يأمره هتلر شخصيا ويأمره موسولينى عن طريق المارشال كافاريللو بعدم الانسحاب إلى الغرب خطوة واحدة فى معركة العلمين الخاسرة بالنسبة إلى الجانب الألمانى . ولو كانت «حرية التصرف» قد أعطيت إلى روميل لما خسر كثيراً من العتاد الحربى المهم والرجال ذوى الخبرة بالقتال ، ولكنهم كبلوه بأوامر الثبات فى العلمين وعدم التراجع خطوة واحدة والنصر أو الموت .

وفى يوم ٢٥ يناير ١٩٤٣ ، كتب روميل إلى زوجته يشكو إليها عدم إدراك قيادته العليا لظروف الحرب فى شمال إفريقيا قائلا : «ليس لديهم فكرة عن القيمة الحقيقية لقواتى وخاصة القوات الإيطالية الموجودة تحت قيادتى ، وليس لديهم فكرة عن ميزان القوى الذى يميل الآن ضدنا إلى حد كبير لأن العدو قد أصبح ميكانيكيا بالكامل وقواته ضخمة من الدبابات والسيارات المدرعة وموقفه الإدارى سليم . وأنا انتظر سير الأحداث وأنا فى غاية القلق وسأصمد فى مكانى لأطول فترة ممكنة» .

وفى يوم ٢٦ يناير ١٩٤٣ تلقى روميل إشارة من القيادة العليا الإيطالية تخطره فيها بضرورة إعفائه من القيادة نظرا لظروفه الصحية وقرروا إنشاء قيادة أخرى تحت إشراف الجنرال «ميسى» الإيطالى ، وطلبوا من روميل تحديد الوقت اللازم لإتمام هذا التغيير فى القيادة . وطلب روميل من القيادة العليا الإيطالية تنفيذ هذا التغيير بأسرع ما يمكن !

وفى منتصف شهر مارس ١٩٤٣ ، وصل روميل إلى مطار «فينرنيو شتادت» فى ألمانيا ، وقال لابنه «مانفريد» : «لن يتركنى الفوهرر لكى أعود إلى إفريقيا مرة أخرى . لقد تم تعيين الجنرال فون آرينم كقائد لمجموعة الجيوش الألمانية فى إفريقيا» .

وأقام روميل فى إحدى المستشفيات لكى يتلقى العلاج الطبى من مجموعة الأمراض التى كان يعانى منها مثل الصداع الشديد نتيجة لبعض أمراض القلب ونتيجة للتوتر العصبى المستمر تحت وطأة الإعداد للمعارك .

وأثناء وجود روميل بالمستشفى كانت أوضاع الجيوش الألمانية تزداد سوءاً يوما بعد يوم على كافة جبهات القتال . كان الجيش السادس الألمانى بقيادة الفيلد مارشال «باولس» قد تم تدميره بكامل معداته وأفراده الذين كان عددهم يبلغ ٢٥٠ ألف رجل كما كان الجيش الخامس الألمانى فى شمال إفريقيا الذى كان عدد رجاله يبلغ ١٢٠ ألف رجل محاصرا من الشرق والغرب ومعرضا للتدمير الكامل أيضا وكان ذلك بطبيعة الحال ناجمًا عن عناد هتلر وتمسكه بسياسة النصر أو الموت وسياسة عدم التراجع خطوة واحدة وسياسة آخر رجل وآخر بندقية .

•• اعتراف بعد فوات الأوان !

وفى يوم ١٠ مايو ١٩٤٣ ، استدعى روميل إلى مقر قيادة هتلر الذى بادر روميل بقوله : «كان يجب أن أستمع إلى كلامك ووجهات نظرك ولكن أظن أن الوقت قد فات . سينتهى كل شىء فى تونس بعد قليل» . وبعد أيام قليلة تم استسلام الجيش الألمانى الخامس بقيادة الجنرال فون آرنيم الذى كان قد استلم قيادة ذلك الجيش من روميل ، وربما كان ذلك لحسن حظ روميل إذ

وقع الجنرال آرنيم نفسه فى أسْرِ الحلفاء ونجا روميل من هذا المصير لتسليمه قيادة ذلك الجيش للجنرال آرنيم ولوجوده بالمستشفى لكى يتلقى العلاج الطبى ونجا الفيلد مارشال إروين روميل من مصير الجنرال فون آرنيم . وها هو ذا الفيلد مارشال إروين روميل وقد استدعاه الفوهرر إلى مقر قيادته وأبدى له أسفه أنه لم يسمع ولم يستجب لنصائح روميل فى الشئون العسكرية من قبل ، ومعنى ذلك بكل وضوح هو أن روميل قد أصبح اعتبارا من يوم ١٠ مايو ١٩٤٣ واحدا من المستشارين العسكريين فى مقر قيادة الفوهرر العسكرية . ومعنى ذلك بوضوح هو أن روميل لم يكن قائدا عسكريا مقصرا فى أداء واجباته العسكرية بل إنه بعد معركة العلمين لم يفقد سمعته كقائد عسكرى ألمانى فذ يمتلك خبرات عسكرية على مستوى عال من الكفاءة . إنه لم يقدم إلى المحاكمة العسكرية بعد معركة العلمين ، ولكنه استدعى للعمل كمستشار عسكرى فى مقر القيادة العامة للفوهرر الذى اعتذر عن إهماله وجهات نظر روميل قبل وأثناء معركة العلمين .

وبوجود روميل فى مقر قيادة هتلر ازداد روميل يقينا أن هتلر لا يهمه فى مجريات الحرب العالمية إلا العناد والتمسك بوجهة نظره بدون أى مرونة فى كل ما يتطلب إبداء مرونة .

سأله روميل ما إذا كان مستعدا للاستمرار فى الحرب ضد العالم بأسره خصوصا بعد دخول أمريكا الحرب إلى جانب الحلفاء فأجابه هتلر بأنه لا مفر من ذلك لأن قادة الحلفاء لن يتوقفوا عن الحرب حتى يصلوا إلى كل أهدافهم، ولقد كان هذا هو موقف ومسلك الحلفاء بالفعل ولكن ما الذى دفع بالحلفاء إلى اتخاذ هذا الموقف وهذا المسلك ؟ إنه هتلر وسذاجته السياسية المنقطعة النظير ، وليس أدل على هذه السذاجة السياسية من أن هتلر عندما أرسل نائبه رودلف هيس إلى بريطانيا لبحث شروط الصلح مع إنجلترا اشترط هيس ضرورة أن يتخلى رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل عن رئاسة الوزارة البريطانية لكى يقوم رئيس وزراء آخر بالتوقيع مع هتلر على شروط الصلح بين ألمانيا وبريطانيا . وهذه سذاجة سياسية مفرطة عندما يتفاوض نائب هتلر مع رئيس وزراء بريطانيا على أن يقيل رئيس وزراء بريطانيا نفسه من أجل خاطر هتلر

وكانت نتيجة رحلة هيس إلى بريطانيا محسومة إذ احتواه السجن فى بريطانيا إلى نهاية الحرب ثم تم نقله من بريطانيا إلى محكمة نورمبرج فى ألمانيا . ولا يلتفت إلى إنكار هتلر معرفته برحلة هيس[1] إذ ليس من المعقول إطلاقا أن يكون نائب هتلر مصابا بالجنون وكان الجنون الحقيقى هو جنون العظمة الذى كان يعانى منه هتلر ، وهو ما اكتشفه روميل عندما تعامل مع هتلر عن قرب فى مقر قيادته فى ألمانيا . كانت لدى روميل شكوك فى سلامة قرارات هتلر أثناء قيادة روميل لجيش شمال إفريقيا وتحولت الشكوك إلى يقين عندما ازداد روميل اقترابا من هتلر بحيث أصبح روميل على يقين من أن وجود شخص هتلر فى رئاسة الدولة الألمانية هو السبب الحقيقى فى استمرار دمار الحرب العالمية الثانية . وبالفعل ، لم تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها إلا بعد انتحار هتلر فى مقر قيادته فى ألمانيا.

•• الصدام المباشر بين روميل وهتلر :

ولقد كتب روميل فى مذكراته أنه سمع هتلر يقول بالحرف الواحد : «إذا كان الشعب الألمانى عاجزا عن كسب[2] الحرب فليذهب إلى الجحيم» . ولقد كانت هذه الجملة هى مفتاح شخصية هتلر Fixation وقد علق روميل على ذلك بقوله : «نشعر أحيانا أنه لم يعد فى حالته الطبيعية» .

ومن هنا على وجه التحديد بدأ التعارض والصدام بين هتلر وروميل . اكتشف روميل أن هتلر «ليس فى حالته الطبيعية» واكتشف هتلر أن روميل يتشكك فى صحة قواه العقلية إذ يجرؤ على أن يسأله سؤالا مباشرا عما إذا كان باستطاعة ألمانيا أن تنتصر على العالم بأسره . والانتصار على العالم بأسره مستحيل بطبيعة الحال فكأن روميل يتهم هتلر بأنه يطلب المستحيل ، ولا يطلب المستحيل ويزج بوطنه فى حرب ضد العالم بأسره إلا شخص مجنون .

وفى مقر قيادة هتلر كان صراع قوى خفى يدور بين روميل وبين مارشال الرايخ قائد الطيران الألمانى والنائب الأول للفوهرر ، الفيلد مارشال جورنج ومجموعة ضباط SS تحت قيادة الفيلد مارشال هملر إذ كان هتلر ينصاع إلى الآراء الخاطئة التى كان جورنج يدلى إليه بها ويوهمه بأن سلاح الطيران الألمانى

١ – انظر كتابنا : مأساة هيس – مكتبة ابن سينا بالقاهرة .
٢ – مذكرات روميل : ترجمة العقيد فتحى عبد الله النمر – ص ٧٣٦ .

قادر على كل شيء . سلاح الطيران الألمانى قادر على القضاء على البريطانيين وتدميرهم أثناء انسحابهم من دانكرك ، وهو مالم يتحقق . سلاح الطيران الألمانى قادر على هزيمة بريطانيا بالغارات الجوية وحدها ، وهو مالم يحدث . سلاح الطيران الألمانى قادر على توفير الإمدادات للجيش الألمانى السادس ، وهو مالم يتم . سلاح الطيران الألمانى قادر على توفير الإمدادات لجيش روميل فى شمال إفريقيا ، وهو مالم يتحقق . سلاح الطيران الألمانى قادر على القضاء على أهمية جزيرة مالطة رغم بقائها فى أيدى الإنجليز ، وهو مالم يتحقق .

وكان لضباط SS بقيادة هملر خطوة كبيرة عند هتلر إذ يعتمد عليهم فى السيطرة على الألمان مدنيين وعسكريين على حد سواء . ووفر لهم هتلر أفضل الملابس وأزهى الشارات وأقوى الأسلحة لتوفير التوازن بين السلطة المدنية للفوهرر والسلطة العسكرية . إن أى مارشال أو فيلد مارشال من قادة الجيش الألمانى إنما يقع مجال عمله فى أحد ميادين القتال خارج ألمانيا ، وعندما يعود إلى ألمانيا لقضاء إجازة ميدانية أو لتلقى العلاج أو للنقاهة من مرض فى منزله فهو مواطن ألمانى عادى منقطع الصلة بالعسكريين الموجودين تحت قيادته لتظل السطوة كل السطوة للفوهرر هتلر من خلال سيطرته على قوات SS التى كان لها داخل ألمانيا كل السطوة والسيطرة فى كل المدن الألمانية وكان الجوستابو ومعسكرات الاعتقال تخضع لسيطرة ضباط SS . ولقد شعر ضباط الجيش بمدى سطوة وخطورة نشاط ضباط SS لدرجة أنه قد شاعت بينهم نكتة تقول إنه فى أحد اجتماعات القيادة العسكرية الألمانية وضع هتلر وراء كل ضابط من ضباط الجيش ضابطا من ضباط SS . ولقد كانت قوات تشكيلات SS هى سند هتلر الحقيقى فى احتفاظه بالسلطة المطلقة فى طول ألمانيا وعرضها وهى التى ضمنت ودعمت وحفظت استمراره فى السلطة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية بحيث لم يفقد السلطة إلا بالانتحار كما هو معروف .

وفى ذلك الوقت من عام ١٩٤٣ ، كان الموقف العسكرى الألمانى يزداد

تعقيدا وصعوبة وخطورة على كافة الجبهات وخصوصا فى جزيرة صقلية وفى إيطاليا وفى اليونان ، وهى ميادين أصبحت رغم أهميتها البالغة مهددة بعد تدمير واستسلام القوات الألمانية والإيطالية فى شمال إفريقيا .

وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩٤٣ ، أمر الفوهرر أن يقوم روميل بإعداد تقرير واف عن تفاصيل الموقف فى اليونان . وكان مفهوما أن هتلر يرغب فى أن يعهد إلى روميل بقيادة القوات الإيطالية (الجيش الإيطالى الحادى عشر) والقوات الألمانية فى اليونان (الفرقة الأولى المدرعة وثلاث فرق مشاه) . ولكن وصول أنباء عن اعتقال الدوتشى موسولينى فى إيطاليا أرجأ استلام روميل لقيادة القوات فى اليونان ، فلقد كان اعتقال الدوتشى يمثل مفاجأة كبرى للفوهرر . وبدلا من استلام قيادة القوات فى اليونان أعطى الفوهرر أوامره إلى روميل بالاستعداد لقيادة القوات الألمانية فى إيطاليا .

ولقد كان الموقف فى إيطاليا متذبذبا أشد التذبذب لوجود أخبار متواترة تفيد رغبة إيطاليا فى الخروج من الحرب ومفاوضات بين الحكومة الإيطالية الجديدة برياسة بادجوليو مع الأمريكيين والإنجليز ، ولم يعلن الإيطاليون خروجهم فعلا من الحرب إلا بسبب تعثر المفاوضات حيث تمسك الجنرال أيزنهاور بضرورة استسلام كل القوات الإيطالية والألمانية فى إيطاليا للحلفاء دون قيد أو شرط وهو ما كان يرفضه بادجوليو طمعا فى مجرد الحصول على شروط أفضل وكانت قناعة هتلر هى ضرورة عودة الدوتشى موسولينى وعودة سيطرة الحزب الفاشستى كضمان وحيد للتعاون الصادق بين إيطاليا وألمانيا . وأفضى ذلك إلى عدم سماح هتلر بانتقال روميل إلى داخل حدود إيطاليا على الرغم من تكليفه بقيادة العمليات العسكرية بها .

وفى يوم ٣ سبتمبر ١٩٤٣ تم للحلفاء إنزال قواتهم فى جنوب إيطاليا . وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٤٣ نزل الجنرال أيزنهاور نفسه على ساحل «ساليرنو» فى

إيطاليا ، وتم استسلام إيطاليا للحلفاء وتم إعلان نبأ الهدنة بواسطة الإذاعة الإيطالية وبذلك خرجت إيطاليا من الحرب فى جانب ألمانيا ضد الحلفاء .

وكان هتلر وكيسلرنج يرغبان فى دخول القوات الألمانية إلى جنوب إيطاليا واحتلال جزيرة صقلية نفسها من جديد وطرد الحلفاء منها ، ولكن روميل عارض هذا الرأى لقوة إمدادات الحلفاء وضعف الإمدادات الألمانية وأشار روميل إلى إمكانية إنزال قوات للحلفاء فى شمال إيطاليا ثم تدمير كل القوات الألمانية بها بعد حصارها من الجنوب والشمال . واقترح روميل التخلى تماما عن جنوب ووسط إيطاليا مع إقامة خط دفاعى فى وادى نهر «البو» مما يجعل خطوط مواصلات الألمان أقل طولا ويجعل الدفاع ضد قوات الحلفاء أيسر منالا للقوات الألمانية . وكان هتلر متذبذبا بين رأى كيسلرنج الذى يرى الدفاع عن جنوب إيطاليا وبين رأى روميل الذى يفضل الدفاع فى شمال إيطاليا ، ولكن هتلر لم يكن يحب الرجوع إلى الوراء خطوة واحدة فأسند قيادة القوات الألمانية فى إيطاليا إلى كيسلرنج وحده . ولاريب فى أن رأى روميل كان هو الرأى الأصوب ، ولكن هتلر كان قد أدمن اختيار الرأى الخاطئ فى الشئون العسكرية فى المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية .